مجلة جامعة الملك سعود، م ١٤، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ص ص ٢٦٧-٣٠٤ (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)

دعوة موسى (عليه السلام) لفرعون في القرآن الكريم والتوراة المحرفة: دراسة مقارنة

سليمان بن قاسم العيد

أستاذ مساعد، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية،
جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٤٢٠/١٢/٢٩هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٢١/٦/١٩هـ)

ملخص البحث. يهدف البحث إلى بيان جانب من جوانب التحريف في التوراة، وذلك من خلال الدراسة التفصيلية لدعوة موسى (عليه السلام) لفرعون في القرآن الكريم والتوراة المحرفة، ومن ثم مقارنة ما ورد في التوراة بما ورد في القرآن الكريم، وإن دعوة نبي الله موسى (عليه السلام) للطاغية فرعون جاءت مفصلة في القرآن والتوراة، ولذا فإن ما كان في التوراة صحيحا فلا بد أن يطابق القرآن الكريم؛ لأنهما من مصدر واحد، وإن خالفت التوراةُ القرآنَ دل ذلك على تحريف التوراة.

وبعد إجراء المقارنة بين النصوص المتعلقة بالموضوع، ابتداء بكيفية تلقي موسى للوحي، ثم ما أيده الله به من الآيات، وكذلك حواره مع فرعون، وأخيرا نجاة موسى (عليه السلام) وقومه وهلاك فرعون وقومه، تبين مخالفة التوراة للقرآن الكريم بأمور، منها أن التوراة حصرت ألوهية الله سبحانه وتعالى للعبرانيين وآبائهم، كما جاء في التوراة عدم تسليم موسى (عليه السلام) لربه في بعض ما يأمره به، وقدرة سحرة فرعون على مقابلة موسى ببعض الآيات، كما وصفت التوراة موسى (عليه السلام) بالألوهية لفرعون، ووصفت هارون بأنه نبي لموسى، وجاءت بتمييز بني إسرائيل بأنهم شعب الله، وغير ذلك من المخالفات التي تدل دلالة صريحة على تحريف التوراة.

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد.

فلقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه المبين وجعله هدى للعالمين، وحفظه من أيدي المحرِّفين، كما في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (الحجر، الآية ٩)، كما أنزل قبله جملة من الكتب السماوية، فما هو موجود منها الآن قد نالته يد التحريف والتبديل، كما حصل للتوراة والإنجيل. وقد بذل العلماء في القديم والحديث جهودا كبيرة لبيان ما وقع في تلك الكتب من التحريف. وإن مقارنة ما في هذه الكتب مع ما في القرآن الكريم إنما هو طريقة لبيان ما فيها من تحريف وتبديل.

وإن دعوة نبي الله موسى (عليه السلام) للطاغية فرعون جاءت مفصلة في القرآن والتوراة، ولذا فإن ما كان في التوراة صحيحا فلا بد أن يطابق القرآن الكريم؛ لأنهما من مصدر واحد، وإن خالفت التوراةُ القرآنَ دل ذلك على تحريف التوراة، وهذا البحث سيتناول هذا الجانب في المقارنة بين القرآن والتوراة في دعوة موسى لفرعون، لبيان جانب من جوانب التحريف في التوراة.

ولقد اعتمدت في دراسة المقارنة على التوراة التي صدرت عن دار الكتاب المقدس المترجمة للعربية، وهي: جملة الأسفار الخمسة من العهد القديم،[١] وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية. علما بأن قصة موسى وفرعون محصورة في سفر واحد هو سفر الخروج.

١ ما يسمى بـ(الكتاب المقدس) ينقسم إلى قسمين، القسم الأول يسمى العهد القديم، والقسم الثاني يسمى العهد الجديد. والعهد القديم هو القسم الخاص باليهود ويتكون من ٣٩ سفرا، على خلاف بينهم في عدد الأسفار، والأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم تسمى التوراة، أو أسفار موسى، أو الناموس [١، ص١٠١].

وسأسير في البحث بإذن الله على النحو الآتي :

١ - أبدأ بعرض القضية من القرآن الكريم، مع ذكر ما يتيسر من أقوال المفسرين وأهل العلم حول الآيات المقصودة. ويكون عزو الآيات في المتن بعد نهايتها، هكذا (اسم السورة، رقم الآية).

٢- أذكر القضية بنصوص من التوراة - ولا شك أن التوراة الموجودة اليوم توراة محرَّفة[٢]- وألتزم في نقل النص بهيئته في المرجع من حيث الفواصل والفقرات ونحوها، وسأفصل بين كل فقرة وفقرة من فقرات السفر بنجمة (*)، أما النقطة (.) الموجودة في نصوص التوراة فهي حسب الأصل دون التدخل في تغييرها. ويكون التوثيق في المتن بعد نهاية النص، هكذا (اسم السفر، رقم الإصحاح، رقم الفقرة).

٣- أذكر بعد ذلك المقارنة في الموضوع بين ما ورد في القرآن الكريم والتوراة، مقتصرا على ما وُجد فيه الاختلاف بين القرآن والتوراة.

وأسأل المولى سبحانه وتعالى التوفيق والسداد والعصمة من الزلل، ومن القول عليه بغير علم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

بداية نبوة موسى (عليه السلام) وإرساله إلى فرعون

أولا: في القرآن الكريم

وقت ومكان تلقي موسى الوحي من ربه

ذكر المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وقت ومكان تلقي موسى (عليه السلام) للنبوة، ومن ذلك :

---

٢ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وأما التوراة، فمن المعلوم عند المسلمين واليهود والنصارى أن بيت المقدس خرب الخراب الأول، وخلا أهله منه وسُبُوا ، ولم يكن هناك من التوراة نسخ كثيرة ظاهرة، بل إنما أخذت عن نفر قليل. كما يقولون : إن عزيراً أملاها ، وإنهم وجدوا نسخة أخرى فقابلوها بها. والمقابلة تحصل باثنين ، وقد يغلط أحدهما" [٦، جـ٢، ص ص ١٨، ١٩].

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (القصص، الآيتان ٢٩، ٣٠).

قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (طه، الآيات ٩-١٤).

هذه الآيات تشير إلى الوقت والحالة والمكان الذي تلقى فيه موسى (عليه السلام) الوحي من ربه وإبلاغه الرسالة، فقد كان ذلك حين رجوعه من مدين إلى مصر بعد أن قضى الأجل، وكان قد ضل الطريق في مسيره، قال ابن كثير: "فأضل الطريق، وكانت ليلة شاتية، ونزل منزلا بين شعاب وجبال، في برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب، وجعل يقدح بزند معه ليوري نارا كما جرت له العادة به، فجعل لا يقدح شيئا ولا يخرج منه شرر ولا شيء، فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور نارا، أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه، فقال لأهله يبشرهم: إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقَبَس أي شهابٍ من نار، وفي الآية الأخرى ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ وهي الجمر الذي معه لهب، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ دل على وجود البرد، وقوله ﴿ بِقَبَسٍ ﴾ دل على وجود الظلام، وقوله ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ أي من يهديني الطريق، دل على أنه قد تاه عن الطريق" [٣، جـ٣، ص١٤٤].

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ "دلالة تدل على الطريق الذي أضللناه، إما من خبر هاد يهدينا إليه، وإما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه" [٤، جـ١٦، ص ١٤٢].

وفي سورة النمل: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (الآية ٧). معنى تصطلون: أي تستدفئون من البرد، يقال: اصطلى يصطلي إذا استدفأ [٥، جـ١٣، ص١٠٦؛ ٦، جـ١٤، ص٤٦٨]. فدل ذلك على وجود الشتاء.

وأما المكان الذي حصل فيه الوحي فدل عليه قوله سبحانه: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (طه، الآية ١٢)، وأظهر الأقوال في معنى طوى أنه اسم للوادي فهو بدل من الوادي أو عطف بيان [٧، جـ٤، ص٢٩٢]. وفيه أقوال أخر.[٣]

وقوله: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (القصص، الآية ٣٠). قال القرطبي: "أتاه النداء من شاطئ الوادي من قِبَل الشجرة و﴿ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ بدل من قوله: ﴿ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ﴾ بدل الاشتمال؛ لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ، وشاطئ الوادي وشطه جانبه، والجمع شُطّان وشواطئ" [٥، جـ١٣، ص١٨٦]. وقال ابن كثير: "أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب" [٣، جـ٣، ص٣٨٨].

وقوله: ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴾ (مريم، الآية ٥٢). قال ابن جرير: "وناديناه موسى من ناحية الجبل، ويعني بالأيمن: يمين موسى؛ لأن الجبل لا يمين له ولا شمال، وإنما ذلك كما يقال: قام عن يمين القبلة وعن شمالها" [٤، جـ١٦، ص٩٤]. ويجوز أن يكون الأيمن من اليُمْن وهو البركة [٩، جـ١٦، ص١٠٣].

---

٣ قال ابن الجوزي: "وللمفسرين في معنى طوى ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم للوادي. والثاني: طإ الوادي. والثالث: أنه قدّس مرتين" [٨، جـ٥، ص ص٢٧٤، ٢٧٥].

وقوله : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (القصص، الآية ٤٤). قال ابن كثير: "يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي" [٣، جـ٣، ص٣٩٢].

جاء وصف المكان في هذه الآيات بكلمات مختلفة، فذكره في الآية الأولى أنه الواد المقدَّس، والمقدس هو المطهَّر. وطوى اسم ذلك الوادي [١٠، جـ٣، ص٣٥٨]. وفي الآية الثانية أنه شاطئ الواد الأيمن من البقعة المباركة. وفي الآية الثالثة أنه جانب الطور الأيمن. وفي الآية الرابعة أنه جانب الغربي.

وقال ابن كثير في الجمع بين هذه المواضع : "كان موسى في واد اسمه طوى فكان موسى مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناداه ربه بالواد المقدس طوى" [١١، جـ١، ص٢٤٧ ؛ ١٢، جـ٢، ص٢٦].

كلمات الوحي الأولى

جاء بيان ما أوحى الله سبحانه وتعالى به إلى موسى في بداية النبوة في مواضع عدة من القرآن الكريم، ومن ذلك السياق الذي ورد في سورة طه من قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه، الآيات ١٣-٣٦).

وقد تضمن هذا السياق من كلمات الوحي الأولى إلى موسى (عليه السلام) موضوعات عدة، على النحو التالي:

الأول : التعريف بالله سبحانه وتعالى والأمر بتحقيق العبودية له وحده ونفي ما سواه من الآلهة، بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ (طه، الآية ١٤). قال ابن كثير في هذه الآية : "هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له." وقوله : ﴿ فَٱعْبُدْنِي ﴾ أي وَحِّدني، وقم بعبادتي من غير شرك، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ قيل: معناه صلِّ لتذكرني. وقيل: معناه

،وأقم الصلاة عند ذكرك لي" [٣، جـ٣، ص١٤٥]. وجاء في موضع آخر قوله : ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (النمل، الآية ٩)، أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز، الذي عز كل شيء وقهره وغلبه، الحكيم في أقواله وأفعاله [٣، جـ٣، ص٣٥٨]. وفي موضع ثالث قوله: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (القصص، الآية ٣٠)، أي الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين، الفعال لما يشاء، لا إله غيره، ولا رب سواه، تعالى وتقدس وتنزه، عن مماثلة المخلوقات في ذاته، وصفاته، وأقواله، وأفعاله سبحانه [٣، جـ٣، ص٣٨٩]. فأخبر الله سبحانه وتعالى موسى بألوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك أن يأمره بعبادته وتألهه [١٣، جـ٦، ص٢٠]. واختلاف صيغ النداء المذكورة قد يدل على تكرر النداء، والله أعلم.

الثاني : الساعة وأنها موعد الجزاء على الأعمال، بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ (طه، الآيتان ١٥، ١٦).

الثالث : تأييد موسى بالآيات التي تدل على صدقه، بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا ...﴾ (طه، الآية ١٧) إلى قوله : ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ (طه، الآية ٢٣).

الرابع : الإرسال إلى الطاغية فرعون، بقوله : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (طه، الآية ٢٤)، قال الطبري : "في الكلام محذوف استغني بفهم السامع بما ذكر منه، وهو قوله: فادعه إلى توحيد الله وطاعته، وإرسال بني إسرائيل معك" [٤، جـ١٦، ص١٥٩]. وقال الرازي : "إنما خُصَّ فرعون بالذكر مع أن موسى (عليه السلام) كان مبعوثا إلى الكل[٤] ؛ لأنه ادعى الألوهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره أول" [١٤، جـ٢٢،

---

٤ لا يعني ذلك عموم رسالته، فعموم الرسالة خاص بنبينا محمد (صلى الله عليه وسلم).

ص٢٧]. وقال القرطبي : "لما آنسه بالعصا واليد، وأراه ما يدل على أنه رسول، أمره بالذهاب إلى فرعون، وأن يدعوه" [٥، جـ١١، ص١٢٩].

الخامس : دعاء موسى (عليه السلام) ربه بإعانته على الرسالة وإشراك أخيه هارون معه، واستجابة الله له، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه، الآيات ٢٥-٣٦) أي قد أجبناك إلى ما سألت، وأعطيناك ما طلبت، وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل، حين شفع أن يوحي الله إلى أخيه. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي : "فامتثل [موسى] أمر ربه، وتلقاه بالانشراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب التي هي من تمام الدعوة قال : ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ أي وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذى القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم" [١٣، جـ٥، ص١٥٣].

ثانيا : في التوراة

تصور التوراة ابتداء نزول الوحي على موسى (عليه السلام) بالنص : "وأما موسى فكان يرعى غنم يَثْرُون حَمِيه كاهن مِدْيَان. فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب * وظهر له ملاك الرب بلهيب نار وسط عليقة.[٥] فنظر فإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق * فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق

---

٥ عن وهب بن منبه قال: شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول إنها من العوسج وقال قتادة هي من العوسج وعصاه من العوسج [٣، جـ٣، ص٣٨٩].

العليقة • فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى . فقال هأنذا • فقال لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجليك . لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة • ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب. فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله • فقال الرب إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم . إني علمت أوجاعهم • فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة. إلى أرض تفيض لبنا وعسلا إلى مكان الكنعانيين[٦] والحثيين[٧] والأموريين[٨] ... والآن هو ذا صراخ بني إسرائيل قد أتى إلي ورأيت أيضا الضيقة التي يضايقهم بها المصريون • فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر" (سفر الخروج : ٣ : ١-١٠).

وفي نص آخر عجيب : "قال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك واصنعها قدام فرعون . ولكني أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب • فتقول لفرعون هكذا يقول الرب . إسرائيل ابني البكر • فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه . ها أنا أقتل ابنك البكر" (سفر الخروج ٤ : ٢١-٢٣). في هذا النص زعم من اليهود أنهم أبناء الله ، ولقد حكى الله سبحانه وتعالى عنهم ذلك في كتابه العزيز : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ (المائدة ، الآية ١٨). ويعلق ابن حزم على نص التوراة قائلا : "ليت شِعْري ماذا ينكرون على النصارى بعد هذا؟ وهل

---

٦ كان مسكن الكنعانيين من بحيرة طبريا إلى البحر الأبيض من الغرب ، وكانت حكومتهم من أقوى الحكومات في أرض فلسطين عند دخول بني إسرائيل فيها [١ ، ص١٨ ؛ ١٥ ، جـ٣ ، ص١٠٠١].

٧ من الشعوب الهندوأوروبية القديمة ، كانت مملكتهم من شمال سوريا إلى البحر الأبيض المتوسط إلى جبال لبنان [١ ، ص ١٨].

٨ الأموريون نزحوا في القرن الثلاثين قبل الميلاد من جنوب غربي آسيا واستولوا على بابل . كما استولوا على أجزاء من سوريا وفلسطين ، وقبل خروج بني إسرائيل من مصر افتتحوا ما وراء الأردن من نهر أرنون في الجنوب إلى جبل جرمان في الشمال [١ ، ص١٨].

طرق للنصارى سبيل الكفر في أن يجعلوا لله ولدا ، ونهج لهم طريق التثليث ، إلا هذه الكتب الملعونة المبدلة؟! إلا أن النصارى لم يدعوا بنوة الله تعالى إلا لواحد أتى بمعجزة عظيمة ، وأما هذه الكتب السخيفة ، وكل من تَدَيَّن بها فإنهم ينسبون بنوة لله إلى جميع بني إسرائيل" [١٦ ، جـ١ ، ص٢٤٧].

وتصور التوراة مقابلة موسى لهذا الأمر بقوله : "من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر" (سفر الخروج ، ٣ : ١١). ومن الأمور الغريبة في التوراة أن تذكر لله أسماء علمها الله لموسى ، كما في النص : "فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم • فقال الله لموسى أَهْيَهِ الذي أَهْيَهِ.[٩] وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم • وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه[١٠] إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد" (سفر الخروج ، ٣ : ١٣-١٥).

ثم يمضي سياق التوراة بذكر توجيه الرب لموسى (عليه السلام) بالذهاب إلى شيوخ بني إسرائيل وتبليغهم بهذا الوحي وبوعد الله لهم بإخراجهم من مصر ، ثم يمضي هو وإياهم إلى فرعون ويبلغونه قائلين : "الرب إله العبرانيين التقانا . فالآن نمضي سَفَر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا" (سفر الخروج ، ٣ : ١٨) ، كما جاء الوعد بالتأييد بالآيات حتى يستجيب فرعون ، وذكر من هذه الآيات العصا ، واليد ، وتحول ماء النهر إلى دم (سفر الخروج ، ٣ : ١٢-٢٢ ، ٤ : ١-٩).

وبعد هذا كله تصور التوراة موقف موسى (عليه السلام) وعدم التسليم له بالرسالة ، كما يدل عليه النص : "فقال موسى للرب استمع أيها السيد. لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا من أول أمس ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقيل اللسان • ...

٩ (أهيه الذي أهيه) فسرها الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح بـ (أنا من أنا) وهذا المعنى لا يتناسب مع سياق الكلام ؛ لأنه قال بعد ذلك : أهيه أرسلني إليكم . فدل على أن (أهيه) اسم [١٧ ، ص٣١].

١٠ قال الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح : (يهوه) هو اسم الإله القومي لإسرائيل ، إله الآباء الأول إبراهيم وبنوه ، ونسبة إليه جاءت التسمية باليهودية [١٧ ، ص ٢٢].

فقال (موسى) استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل • فحمي غضب الرب على موسى" (سفر الخروج، ٤ : ١٠-١٤).

ومن العجائب في التوراة أنها بعد ذكر هذا الموقف نسبت لله سبحانه وتعالى أمره لموسى بأن يكون هارون فما له وهو يكون إلها لهارون، كما يدل عليه النص: "وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها" (سفر الخروج، ٤ : ١٦، ١٧).

ولم تتوقف ألوهية موسى (عليه السلام) على هارون، بل زعموا أن الله جعله أيضا إلها لفرعون، كما يدل عليه النص: "فقال الرب لموسى انظر . أنا جاعلك إلها لفرعون . وهارون أخوك يكون نبيك" (سفر الخروج، ٧ : ١).

وهذا مما يخالف الغاية من إرسال الرسل، فإن الله سبحانه أرسل الرسل وأنزل معهم الكتب لتوحيده ونفي الآلهة سواه . فكيف يأتي الرسول من الله ويكون إلها لغيره من البشر؟

كما يفيد سياق التوراة أن موسى (عليه السلام) بعد أن تلقى الوحي من ربه رجع إلى حميه (يثرون) فاستأذنه بالخروج إلى مصر فأذن له بذلك، وخرج موسى (عليه السلام) بامرأته وبنيه.

ثالثا: المقارنة

تتمثل الفروقات بين عرض القرآن الكريم والتوراة لبداية نبوة موسى (عليه السلام) بما يلي:

١- يشير القرآن الكريم إلى أن موسى (عليه السلام) تلقى الوحي حينما كان عائدا من مدين مع أهله، وذلك حين قضى الأجل . أما التوراة فتذكر أن موسى تلقى الوحي حينما كان يرعى الغنم لحميه، أي أنه ما زال في الخدمة ولم يقض الأجل بعد وهذا مخالفة صريحة من التوراة لنص القرآن الكريم .

٢- يصرح القرآن الكريم بأن موسى (عليه السلام) ذهب إلى النار لطلب الهدى أو الاستدفاء، وهذه الإشارات تفيد أن ذلك وقع في ليلة ظلماء باردة، في حين أن التوراة

تشير إلى أن السبب الذي جاء من أجله موسى إلى النار هو عجبه من اشتعال النار بالعليقة والعليقة لا تحترق .

٣- جاء في القرآن الكريم في كلمات الوحي الأولى إلى موسى (عليه السلام) التأكيد على ألوهية الله سبحانه وتعالى ونفي الآلهة سواه، وهذه هي القضية الأساسية التي بعث الله من أجلها موسى وغيره من المرسلين . في حين أن التوراة لم تؤكد هذا الجانب واكتفت بذكر ألوهية الله سبحانه وتعالى للعبرانيين، وخصت منهم إبرهيم، وإسحاق، ويعقوب، وهم آباء بني إسرائيل . بل إن التوراة فوق ذلك جعلت موسى إلها لفرعون .

٤- جاء في القرآن الكريم في كلمات الوحي الأولى إلى موسى (عليه السلام) تعريف الله سبحانه وتعالى بالأسماء الحسنى والصفات العلا، كقوله : ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (النمل، الآية ٩)، وقوله : ﴿ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (القصص، الآية ٣٠)، التي تفيد صفات الكمال لله سبحانه وتعالى، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف، الآية ١٨٠)، وهذه قاعدة جليلة في أسماء الله سبحانه وتعالى فكلها تحمل الحُسنَ في معانيها ودلالتها ونحو ذلك . أما ما ورد في التوراة بتسمية الله سبحانه وتعالى بـ (أهيه) و (يهوه) وهذه الكلمات بالعربية ليس لها معنى، وليست من أسماء الله سبحانه وتعالى ولا من صفاته، ولا تحمل معنىً حسنا يليق بالله سبحانه وتعالى، كما تؤكد أن (يهوه) هو اسمه إلى الأبد بمعنى لا يدعى بغيره . يقول العقاد: "إن اسم (يهوه) لا يعرف اشتقاقه على التحقيق، فيصح أنه من مادة الحياة، ويصح أنه نداء لضمير الغائب (يا هو) لأن موسى علّم بني إسرائيل أن يتقوا ذكره توقيرا له، وأن يكتفوا بالإشارة إليه" [١٨، ص١١٣]. ويَرِدُ هنا سؤال : أليس (يهوه) كلمة عبرية معناها (الله) باللغة العربية ؟ يجيب عن هذا السؤال أحمد شلبي فيقول : "إن الإجابة عن هذا السؤال تجيء بالنفي القاطع؛ لأن الصفات التي ذكرها اليهود لـ(يهوه) تبعُدُ كل البعد عما يتصف به الإله عند أي جماعة من جماعات المتدينين، وتجعله هذه الصفات لا مرشدا ولا هاديا، وإنما تجعله يمثل انعكاسا لصفاتهم واتجاهاتهم فهو ليس خالقا لهم بل مخلوق لهم . وهو لا يأمرهم، بل يسير على هواهم، وكثيرا ما يأتمر بأمرهم، وفي يهوه صفات

الحربية إن هم حاربوا، وصفات التدمير لأنهم مدمرون، وهو يأمرهم بالسرقة إن أرادوا أن يسرقوا، ويتعلم منهم ما يريدونه أن يعلم" [١٩، ص ص١٨٩، ١٩٠].

٥- نسبت التوراةُ الولدَ لله (سبحانه وتعالى) في سياق إرسال موسى إلى فرعون، وأنهم هم ابن الله البكر، فرب إسرائيل حسب زعمهم بشر يلد، وولده البكر هو إسرائيل. أما في القرآن الكريم فقد رد الله سبحانه وتعالى عليهم هذا القول، بقوله سبحانه: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ (المائدة، الآية ١٨). ولقد عَظَّم الله سبحانه وتعالى جُرْم من قال مثل هذه المقولة، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ (مريم، الآيات ٨٨-٩١).

٦- جاء في القرآن الكريم ذكر اليوم الآخر، والجزاء، والحساب في كلمات الوحي الأولى التي أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى (عليه السلام)؛ أما التوراة فلم تذكر شيئا من ذلك، ليس في هذا الموضع فحسب، بل إن ذكر اليوم الآخر لم يرد في توراتهم إلا نادرا، علما بأن التذكير باليوم الآخر من القضايا الأساسية في دين الله سبحانه وتعالى عند جميع الرسل. يقول أحمد شلبي: "إن فكرة البعث لم تجد لها أرضا خصبة في عالم اليهود، وقد حاول بعض طائفة الفريسيين القول بها، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة، أما باقي الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئا" [١٩، ص٢٠٧].

٧- يفيد سياق القرآن الكريم امتثال موسى أمر ربه واستعانته به، كما سبق بيان ذلك. أما سياق التوراة فيفيد اعتراض موسى (عليه السلام) على هذا الأمر ومراجعته لربه سبحانه وتعالى حتى غضب الرب سبحانه وتعالى عليه، فتكاد التوراة تجعل موسى ندا للرب، فهو يتحدث إلى هذا الرب حديث الند للند. وهذا معارض لقوله سبحانه: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ (طه، الآية ١٣)، وقوله: ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

(الأعراف، الآية ١٤٤)، فاختيار الله سبحانه وتعالى واصطفاؤه لنبيه موسى كان عن علم بحاله وامتثاله لأوامره، فكيف تحصل منه المعارضة لربه في بداية الوحي، كما يدل على ذلك سياق التوراة؟

٨- جعلت التوراة الهدف الأساسي من الرسالة هو تخليص بني إسرائيل من الذل، حتى أن الرب سبحانه وتعالى نزل لينقذ بني إسرائيل ويخرجهم إلى أرض تفيض لبنا وعسلا، فكأن الهدف من هذه الرسالة تحسين الحالة المعيشية لبني إسرائيل.

آيات موسى (عليه السلام) لفرعون

أولا: في القرآن

لما أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى، وكلفه بالرسالة أيده بالآيات، ولقد كانت أول هذه الآيات التي أعطاها الله موسى (عليه السلام) هي العصا، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه، الآيات ١٧-٢٢)، قال ابن كثير: "هذا برهان من الله تعالى لموسى (عليه السلام) ومعجزة عظيمة، وخرق للعادة باهر، دل على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل، وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل، وقوله: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ قال بعض المفسرين: إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له. وقيل: إنما قال له ذلك على وجه التقرير، أي أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها، فسترى ما نصنع بها الآن" [٣، جـ٣، ص١٤٥].

ثم أردف بعد هذه الآية بآية اليد، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه، الآية ٢٢)، قال ابن كثير: "وهذا برهان ثان لموسى (عليه السلام) وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه، كما صرح

به في الآية الأخرى، وههنا عبر عن ذلك بقوله: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ وقال في مكان آخر: ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾ (القصص، الآية ٣٢). قال مجاهد: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾: كفك تحت عضدك، وذلك أن موسى (عليه السلام) كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها تخرج تتلألأ، كأنها فلقة قمر، وقوله: ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ أي من غير برص، ولاأذى، ومن غير شين. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم. وقال الحسن البصري أخرجها والله كأنها مصباح فعلم موسى أنه قد لقي ربه عز وجل" [٣، جـ٣، ص ص١٤٦، ١٤٧].

ولم تقتصر آيات موسى (عليه السلام) على هاتين الآيتين، بل أيده الله سبحانه وتعالى بآيات أخرى، كما في قوله سبحانه: ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (النمل، الآية ١٢). وقوله ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ (الإسراء، الآية ١٠١). قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون وهي: العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات. قاله ابن عباس، وقال محمد بن كعب: هي اليد، والعصا، والخمس في الأعراف، والطمس، والحجر. وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة: هي يده، وعصاه، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي. وجعل الحسن البصري السنين ونقص الثمرات واحدة وعنده أن التاسعة هي تلقف العصا" [٣، جـ٣، ص٦٧].

ويصور القرآن الكريم موقف فرعون وقومه من هذه الآيات بقوله سبحانه:

﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف، الآيتان ١٣٢، ١٣٣). قال ابن كثير: "هذا إخبار من الله عز وجل عن تمرد قوم فرعون وعتوهم وعنادهم للحق وإصرارهم على الباطل يقولون: أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها رددناها فلا نقبلها منك ولا نؤمن بك ولا بما جئت به" [٣، جـ٢، ص٢٤١].

ولكن وجد القوم أنه لا طاقة لهم بهذه الآيات وما يحل عليهم من النكال بسبب عنادهم، وعدم إيمانهم، وإرسال بني إسرائيل، فكانوا في كل مرة يتجهون إلى موسى طالبين منه أن يكشف عنهم الرجز فيؤمنوا ويرسلوا بني إسرائيل، ولكنهم لا يفون بوعدهم، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ (الأعراف، الآيتان ١٣٤، ١٣٥).

كما نجد في القرآن الكريم تأثير هذه الآيات التي جاء بها موسى (عليه السلام)، ومن ذلك ما حصل من إيمان السحرة لما رأوا عصا موسى (عليه السلام) قد التقمت ما صنعت أيديهم من السحر، وعلموا أن ما جاء به موسى ليس سحرا، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ (الأعراف، الآيات ١١٣-١٢٢).

قال ابن كثير : "يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى (عليه السلام) في ذلك الموقف العظيم، الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه، ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ أي تأكل[11] ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ أي ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل. قال ابن عباس: فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته، فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء، ليس هذا بسحر، فخروا سجدا وقالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ وقال محمد بن إسحاق: جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير، مما ألقوا ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت، ووقع السحرة سجدا ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ لو كان هذا ساحرا ما غلبنا" [٣، جـ٢، ص٢٣٨].

ثانيا : في التوراة

جاءت الآيات التي أعطاها الله إلى موسى وهارون مفصلة في التوراة، ومرتبة على النحوالتالي:

١- تحول العصا إلى حية، ويدل على ذلك النص: "فقال له الرب ما هذه في يدك. فقال عصا * فقال اطرحها إلى الأرض. فطرحها إلى الأرض. فصارت حية. فهرب موسى منها * ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها. فمد يده وأمسك به. فصارت عصا في يده" (سفر الخروج، ٤: ٢-٤). ولكن تنسب العصا مرة إلى الله "وأخذ موسى عصا الله في يده" (سفر الخروج، ٤: ٢٠)، ومرة إلى هارون "ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم" (سفر الخروج، ٧: ١٢). وأما عن موقف السحرة فتذكر التوراة أنهم فعلوا مثل هذه الآية، كما يدل عليه النص: "ففعل عرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك، طرح كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين" (سفر الخروج، ٧: ١١، ١٢).

---

١١ وتلقف لها معنى أبلغ من هذا، وهو أنها تبتلع بسرعة [٦، جـ٩، ص٣٢١].

٢- تحول اليد إلى برصاء مثل الثلج، ويدل عليه النص: "ثم قال الرب أيضا أدخل يدك في عُبِّك. فأدخل يده في عبه. ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج * ثم قال له رد يدك في عبك. فرد يده إلى عبه. ثم أخرجها من عبه وإذا هي قد عادت مثل جسده" (سفر الخروج، ٤: ٦-٨).

٣- تحول ماء النهر إلى دم على اليابسة، كما يدل عليه النص: "تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليابسة فيصير الماء الذي تأخذه من النهر دما على اليابسة" (سفر الخروج، ٤: ٩).

٤- موت السمك الذي في النهر بعد أن يتحول ماء النهر إلى دم وينتن، ويدل عليه النص: "ها أنا أضرب بالعصا التي في يدي على الماء الذي في النهر فيتحول دما ويموت السمك الذي في النهر" (سفر الخروج، ٧: ١٧، ١٨).

٥- تحول جميع مياه المصريين إلى دم، حتى في الأخشاب والأحجار، ويدل عليه النص: "ثم قال الرب لموسى قل لهارون خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين على أنهارهم وعلى سواقيهم وعلى آجامهم وعلى مجتمعات مياههم لتصير دما. فيكون دم في كل أرض مصر في الأخشاب وفي الأحجار" (سفر الخروج، ٧: ١٩، ٢٠). ثم تعقب التوراة بعد ذلك: "وفعل عرافو مصر كذلك بسحرهم" (سفر الخروج، ٧: ٢٢). أي أن السحرة قدروا على الإتيان بمثل ما جاء به موسى وهارون، وكيف يقدرون على ذلك، ومن أين لهم الماء وقد تحولت جميع مياه مصر إلى دم؟! قال ابن حزم: "فأيُّ ماء بقي حتى تقلبه السحرة دما، كما فعل موسى وهارون؟ أبى الله إلا فضيحة الكذابين وخزيهم. فإن قالوا: قلبوا ماء الآبار التي حفرها المصريون حول النهر. قلنا لهم: فكيف عاش الناس بلا ماء أصلا؟ أليست هذه فضائح مردودة؟ وهل يخفى أن هذا من توليد ضعيف العقل أو زنديق مستخف لا يبالي بما أتى به من الكذب. ونعوذ بالله من الضلال" [١٦، جـ١، ص٢٥٠].

٦- انتشار الضفادع في كل مكان من أرض مصر، كما يدل عليه النص: "فقال الرب لموسى قل لهارون مد يدك بعصاك على الأنهار والسواقي والآجام وأصعِد

الضفادع على أرض مصر" (سفر الخروج ، ٨ : ٥). وتعقب التوراة على ذلك بالنص : "وفعل كذلك العرافون بسحرهم وأصعدوا الضفادع على أرض مصر" (سفر الخروج ، ٨ : ٧) . وهنا قد يتساءل الإنسان ، كيف يسعى سحرة فرعون إلى زيادة العذاب على المصريين ، والأحرى بهم أن يدفعوا هذه الضفادع عن المصريين ؟! وتذكر التوراة بعد ذلك أن فرعون طلب من موسى وهارون أن يدعوا ربهما ليرفع عنهم هذه الضفادع حتى يطلق بني إسرائيل ، ففعل موسى وهارون وماتت الضفادع ، لكن فرعون قسا قلبه ولم يف بوعده.

٧- انتشار البعوض في جميع أرض مصر ، كما يدل عليه النص : "ثم قال الرب لموسى قل لهارون مد عصاك واضرب تراب الأرض ليصير بعوضا في جميع أرض مصر" (سفر الخروج ، ٨ : ١٦). وتعقب التوراة بعد ذلك : "وفعل كذلك العرافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا. وكان البعوض على الناس وعلى البهائم * فقال العرافون لفرعون : هذا أصبع الله" (سفر الخروج ، ٨ : ١٨ ، ١٩). في هذه المرة لم يستطع العرافون مجاراة موسى وهارون فيما فعلاه من الآيات حسب سياق التوراة.

٨- انتشار الذباب في أرض مصر ، كما يدل عليه النص : "...فدخلت ذبان كثيرة إلى بيت فرعون وبيوت عبيده . وفي كل أرض مصر خربت الأرض من الذبان" (سفر الخروج ، ٨ : ٢٤) ولكن الأرض التي يسكنها بنو إسرائيل سلمت من الذبان كما يدل عليه النص : "ولكن أميز في ذلك اليوم أرض جاسان حيث شعبي مقيم حتى لا يكون هناك ذبان" (سفر الخروج : ٨ : ٢٢). وبعد حصول هذه الآية طلب فرعون من موسى وهارون أن يدعوا الرب ليرفع عنهم هذه الذبان ، فحصل ذلك ، ولكن فرعون قسا قلبه فلم يطلق الشعب.

٩- موت مواشي المصريين بالوَبَأ ، أما مواشي بني إسرائيل فلم يضرها شيء ، ويدل على ذلك النص : "فها يد الرب تكون على مواشيك في الحقل على الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم وبا ثقيلا جدا ... فماتت جميع مواشي المصريين . وأما مواشي بني إسرائيل فلم يمت منها واحد" (سفر الخروج ، ٩ : ٣-٧). ثم تعقب التوراة بعد ذلك بأن فرعون غلظ قلبه فلم يطلق الشعب.

١٠- ظهور الدمامل في الناس والبهائم من أثر الرماد، ويدل على ذلك النص: "ثم قال الرب لموسى وهارون خذا ملءَ أيديكما من رماد الأَتُونِ. وليذره موسى نحو السماء ... فصار دمامل بثور طالعة في الناس وفي البهائم" (سفر الخروج، ٩: ٨-٧). ثم ذكرت التوراة بعد ذلك أن العرافين عجزوا أن يقفوا أمام موسى في هذه الآية من أجل الدمامل.

١١- نزول بَرَد عظيم على مصر، لم تر مصر مثله منذ تأسيسها إلى عهد موسى، كما يدل على ذلك النص: "ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون بَرَدٌ في كل أرض مصر على الناس وعلى البهائم وعلى كل عشب الحقل في أرض مصر * ... فكان برد ونار متواصلة في وسط البرد. شيء عظيم جدا لم يكن مثله في كل أرض مصر منذ صارت أمة" (سفر الخروج، ٩: ٢٢-٢٤). ولكن جاء في النص استثناء أرض جاسان التي يسكنها بنو إسرائيل فلم يصبها البرد (سفر الخروج، ٩: ٢٦). ومن الملاحظ على سياق هذه الآية في التوراة أن البرد أهلك مواشي المصريين، وقد ورد في آية سابقة أن المواشي أهلكها الوبأ، فلم يبق للمصريين شيء منها، فما هي المواشي التي أهلكها البرد؟ وفي هذا يقول ابن حزم: "فليت شعري!! أي دابة بقيت لفرعون وأهل مصر، وقد ذكر أن الوبأ أهلك جميعها؟ وأين الإبل والحمير والخيل والغنم؟ أليس هذا عجبا!! ... ولم يكن بين آية وآية بإقرارهم وقت يمكن فيه جلب أنعام إليهم من بلد آخر؛ لأنه لم يكن بين الآية والآية إلا يوم أو يومان أو قريب من ذلك، ومصر واسعة الأعمال" [١٦، جـ١، ص٢٥٢]. ثم إن هناك أمرا آخر وهو قول موسى لفرعون: "فالآن أرسل احم مواشيك وكل مالك في الحقل وجميع الناس والبهائم الذين يوجدون في الحقل..." (سفر الخروج، ٩: ١٩)، فكيف يوحي الله إليه بإهلاكهم بالبرد، ثم بعد ذلك يأمره بأن يحمي الناس والبهائم؟! وبعد حصول هذه الآية طلب فرعون من موسى وهارون أن يدعوا ربهما من أجل أن يكشف عنهم ذلك، فحصل، ولكن "اشتد قلب فرعون فلم يطلق بني إسرائيل كما تكلم الرب عن يد موسى" (سفر الخروج، ٩: ٣٥).

١٢- خروج جراد على أرض مصر أكل كل شيء، كما يدل عليه النص: "ثم قال الرب لموسى مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد. ليصعد على أرض مصر ويأكل كل عشب الأرض كل ما تركه البرد * ... فصعد الجراد على كل أرض مصر وحل في جميع

تخوم مصر شيء ثقيل جدا لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك * وغطى كل وجه الأرض حتى أظلمت الأرض . وأكل جميع عشب الأرض وجميع ثمر الشجر الذي تركه البرد . حتى لم يبق شيء في الشجر ولا في عشب الحقل في كل أرض مصر" (سفر الخروج، ١٠ : ١٢-١٥). ثم بعد ذلك طلب فرعون من موسى وهارون أن يدعوا الرب، فدعا موسى، فرفع الرب الجراد، ولكن "شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بني إسرائيل" (سفر الخروج، ١٠ : ٢٠).

١٣- حلول الظلام على أرض مصر ثلاثة أيام، فلم يبصر أحد أخاه، ولا قام أحد من مكانه، أما بنو إسرائيل فقد كان لهم نور في مساكنهم، كما يدل على ذلك النص: "ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ... فكان ظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام * فلم يبصر أحد أخاه ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام . ولكن جميع بني إسرائيل كان لهم نور في مساكنهم" (سفر الخروج، ١٠ : ٢١-٢٣).

١٤- موت كل بكر في أرض مصر من أثر خروج الرب في وسطهم، كما يدل على ذلك النص: "وقال موسى هكذا يقول الرب إني نحو نصف الليل أخرج في وسط مصر * فيموت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التي خلف الرحى وكل بكر بهيمة" (سفر الخروج، ١٠ : ٤-٦)، أما بنو إسرائيل فلم يمسهم سوء، حيث قد جاء في التوراة تمييز الرب لبني إسرائيل "لكي تعلموا أن الرب يميز بين المصريين وإسرائيل" (سفر الخروج، ١٠ : ٧).

وجملة هذه الآيات المذكورة هي: العصا، واليد، وتحول ماء النهر إلى دم على اليابسة، وموت السمك في النهر بعد أن يتحول إلى دم وينتن، وتحول جميع مياه المصريين إلى دم، والضفادع، والبعوض، والذبان، وموت المواشي، والدمامل، والبَرَد، والجراد، والظلام، وموت الأبكار.

ثم عقبت التوراة بعد ذكر جميع هذه الآيات مرتبة بموقف فرعون بعدها بالنص: "وكان موسى وهارون يفعلان كل هذه العجائب أمام فرعون . ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بني إسرائيل من أرضه" (سفر الخروج، ١١ : ٩).

ثالثا: المقارنة

تتمثل الفروق بين عرض القرآن الكريم وعرض التوراة للآيات بالأمور التالية:

١- عجز السحرة

لقد صور القرآن الكريم عجز السحرة عن الإتيان بما جاء به موسى (عليه السلام) بقوله سبحانه: ﴿ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴾ (الأعراف، الآية ١١٩)؛ أما التوراة فكانت تذكر قدرة السحرة على مقابلة موسى وهارون ببعض الآيات، وكانت هذه المقابلة من السحرة سببا لعناد فرعون، فكانت التوراة تعقب على بعض الآيات أن السحرة استطاعوا أن يفعلوا مثل ذلك، كما في آية العصا، وتحويل جميع مياه مصر إلى دم، وإخراج الضفادع على أرض مصر.

قال ابن حزم معلقا على زعم التوراة أن السحرة استطاعوا أن يفعلوا كثيرا مما جاء به موسى وهارون من الآيات: "ولو صح هذا لبطلت نبوة موسى (عليه السلام) بل نبوة كل نبي، ولو قدر السحرة على شيء من جنس ما يأتي به النبي، لكان باب السحرة وباب مدعي النبوة واحدا، ولما انتفع موسى بازدراد عصاه لعصيهم، ولا بعجزهم عن البعوض، وقد قدروا على قلب العصي حيات، وعلى إعادة الماء دما، وعلى المجيء بالضفادع، ولما كان لموسى (عليه السلام) عليهم بنبوته أكثر من أنه أعلم بذلك العمل منهم فقط، ولو كان كما قال هؤلاء الكذابون الملعونون، لكان فرعون صادقا في قوله: إنه لكبيركم الذي علمكم السحر" [١، جـ١، ص٢٤٨].

٢- عصا موسى وعصي السحرة

عرض القرآن الكريم لآية العصا يختلف عن عرض التوراة لها، فالقرآن الكريم بين أن السحرة ألقوا عصيهم قبل موسى بعد مشاورته، كما في قوله سبحانه: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۝ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف، الآيتان ١١٥، ١١٦). وأما التوراة فتذكر أن الذي طرح العصا في الأول هو هارون، ثم بعد ذلك طرح أصحاب فرعون

عصيهم، كما ورد النص بذلك: "فدخل موسى وهارون إلى فرعون وفعلا هكذا كما قال الرب. طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانا. فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك * طرح كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين. ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم. فاشتد قلب فرعون ولم يسمع لهما كما تكلم الرب" (سفر الخروج، ٧: ١٠-١٢).

ومن جانب آخر فإن القرآن يصور تحول عصي السحرة إلى ثعابين إنما هو مجرد تخييل لا حقيقة، كما في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه، الآية ٦٦). أي أنه مجرد تخييل في أعين الناظر لا حقيقة، كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف، الآية ١١٦). قال ابن كثير: "أي خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال" [٣، جـ٢، ص٢٣٨]. وأما تحول عصا موسى إلى ثعبان فإنه تحول حقيقي بقدرة الله سبحانه وتعالى، بدليل أنها التقمت عصيهم، وعلم السحرة أن هذا ليس من قبيل السحر.

٣- إيمان السحرة

يصور لنا القرآن الكريم النتيجة الإيجابية من تلك الآيات، كما في قوله سبحانه: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (طه، الآية ٧٠). وأما التوراة فتعرض عن ذلك وتقتصر على الجانب الآخر وهو عناد فرعون وعدم تسليمه.

٤- حالة اليد

جاء في القرآن الكريم وصف تحول اليد إلى بيضاء أن ذلك من غير سوء، قال المفسرون: من غير برص ولا أذى [٣، جـ٣، ص١٤٧؛ ٥، جـ١١، ص١٢٨]. أما التوراة فجاءت بوصف اليد بما نفاه القرآن عنها، جاءت بوصفها بالبرص.

٥- الإجمال والتفصيل

جاء القرآن الكريم بذكر التفصيل في آيتين من الآيات هي العصا واليد، أما بقية الآيات فقد ذكرها مجملة؛ أما التوراة فقد ذكرت جميع الآيات بالتفصيل والترتيب واحدة تلو الأخرى، فإذا لم يستجب فرعون للآية جاءه بالأخرى.

٦- الواسطة في الآيات

تصور التوراة أن موسى (عليه السلام) واسطة في بعض الآيات بين الله وبين هارون، فكان الله يأمر موسى، وموسى يأمر هارون، كما حصل في تحويل مياه المصريين إلى دم، وإخراج الضفادع، والبعوض وغيرها. ولعل هذا يتفق مع ما ورد بأن هارون نبي موسى، كما يدل عليه النص: "فقال الرب لموسى انظر. أنا جاعلك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك" (سفر الخروج، ٧: ١). فالإله لا يكلم فرعون إلا بواسطة النبي وهو هارون.

٧- الآيات الإضافية في التوراة

ورد في التوراة بعض الآيات التي لم ترد الإشارة إليها في القرآن الكريم، مثل الدمامل، والبرد، والظلام.

الحوار بين موسى وفرعون

أولا: في القرآن

لما أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى أرسله إلى فرعون قائلا: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (طه، الآية ٢٤). فطلب موسى من ربه (سبحانه وتعالى) أن يعينه بأخيه هارون، فاستجاب الله له وأشركه معه، ووجه الأمر إليهما معا بقوله: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (طه، الآية ٤٣). وكان الهدف من الرسالة يتمثل في أمرين:

الأول: الدعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وتوحيده، ويدل على ذلك قوله: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ (النازعات، الآية ١٨). قال الطبري: فقل له: "هل لك أن تتطهر من دنس الكفر وتؤمن بربك؟" [٤، جـ٣٠، ص٣٩].

والثاني: أن يطلق بني إسرائيل لعبادة الله سبحانه وتعالى، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشعراء، الآيتان ١٦، ١٧). وفي موضع آخر: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ (طه، الآيتان ٤٧، ٤٨)، في هذه الآية إشعار لفرعون منذ اللحظة الأولى إلى أن هناك إلها هو ربه، وهو رب العالمين، وليس خاصا بموسى وهارون أو ببني إسرائيل، كما كان سائدا في خرافات الوثنية يومذاك أن لكل قوم إلها أو آلهة، أو كما كان سائدا في بعض العصور من أن فرعون مصر إله يُعْبَد فيها لأنه من نسل الآلهة. كما جاء في الآية الترغيب لفرعون لعله يتلقى السلام ويتبع الهدى، وعقب بعد ذلك بالترهيب بالعذاب لمن كذب وتولى [٢٠، جـ٤، ص٢٣٣٧].

وفي موضع ثالث: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الأعراف، الآيتان ١٠٤، ١٠٥)، ومعنى حقيق أي جدير أن لا أقول عليه إلا الحق ولا أكذب عليه [٣، جـ٢، ص٢٣٦؛ ١٣، جـ٣، ص٧١].

ولكن فرعون استخف بموسى (عليه السلام) وذكره بما كان من حاله في صغره، كما حكى الله سبحانه وتعالى عنه قوله: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشعراء، الآيات ١٨-٢٢).

وبعد هذا الحوار أخذ فرعون يتجاهل رب العالمين ويستخف بدعوة موسى، كما في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ (الشعراء، الآيات ٢٣-٢٧)، من أجل أن يصرف الناس عن كلام موسى يصفه بالجنون، ولكن موسى (عليه السلام) يواصل كلامه بالتعريف بربه سبحانه: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الشعراء، الآية ٢٨).

وفي موضع آخر من تعريف موسى بربه سبحانه قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ (طه، الآيات ٥٠-٥٤). في هذا التعريف يبين موسى (عليه السلام) جملة من نعم الله سبحانه على خلقه وكذا صفاته العلا التي استحق بها سبحانه الألوهية دون من سواه، ولكن الطاغية فرعون لم يلتفت إلى هذا كله.

ولما عجز فرعون عن مواصلة الحوار مع موسى لجأ إلى التهديد والوعيد: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء، الآية ٢٩) ولم يخف موسى من ذلك التهديد والوعيد، ثقة بوعد الله له بالنصر والتأييد، فلفت نظر فرعون إلى ما معه من الآيات البينات: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (الشعراء، الآيات ٣٠-٣٣). ومع هذه الآيات البينات لم يزدد فرعون إلا تكبرا وعنادا، وبان عجزه وضعفه، فالتفت إلى السحرة يستشيرهم في أمره، ويستعين بهم: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ

فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (الشعراء، الآيات ٣٤-٤٢) ولكن فشلت الخطة وخسر فرعون وجنوده، وكانت الطامة الكبرى على فرعون أن آمن السحرة: ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (الشعراء، الآيات ٤٦-٤٨).

عند ذلك توجه فرعون للسحرة بالكلام محاولة منه أن يثنيهم عن إيمانهم: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء، الآيات ٤٩-٥١).

ثانيا : في التوراة

تبدأ التوراة بذكر خبر موسى مع فرعون ببيان الهدف من الرسالة، كما في النص "وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي ليعبدوا لي في البرية * فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل. لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه * فقالا إله العبرانيين قد التقانا. فنذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا. لئلا يصيبنا بالوبأ أو بالسيف..." (سفر الخروج، ٥: ١-٥). وفي موضع آخر: "فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون فتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر" (سفر الخروج، ٣: ١٠).

وتذكر التوراة أن موسى (عليه السلام) قال لربه بعد أن أمره أن يذهب إلى فرعون: "هو ذا بنو إسرائيل لم يسمعوا لي فكيف يسمعني فرعون وأنا أغلف الشفتين" (سفر الخروج، ٦ : ١٢).

ويرد فرعون في بادئ الأمر بعدم إطلاق الشعب محتجا بما هم فيه من الشغل قائلا: "لماذا ياموسى وهارون تبطلان الشعب من أعماله . اذهبا إلى أثقالكما" (سفر الخروج، ٥ : ٤).

وبعد هذا الطلب تذكر التوراة أن فرعون زاد في تسخير بني إسرائيل، فتوجه موسى إلى ربه قائلا: "يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب . لماذا أرسلتني * فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب . وأنت لم تخلص شعبك" (سفر الخروج ٥ : ٢٣).

وكان تركيز التوراة في حوار موسى مع فرعون على إطلاق شعب إسرائيل وبخاصة مع سياق الآيات، فكان موسى يقول لفرعون : الرب إله العبرانيين أرسلني إليك قائلا أطلق شعبي ليعبدوني في البرية، وإن لم تفعل أصيبك بكذا وكذا .

وكان فرعون يتنازل أحيانا للخلاص من المصائب، فيطلب من موسى أن يدعو ربه ليكشف عنه هذه الآيات، وبعد سياق آية (الذبان) قال فرعون لموسى: "أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم في البرية . ولكن لا تذهبوا بعيدا . صليا لأجلي" (سفر الخروج، ٨ : ٢٨).

وبعد سياق آية (البرد) ذكرت التوراة ما دار بين موسى وفرعون بالنص: "فأرسل فرعون ودعا موسى وهارون وقال لهما أخطأت هذه المرة . الرب هو البار وأنا وشعبي الأشرار * صليا إلى الرب وكفى حدوث رعود الله والبرد فأطلقكم ولا تعودوا تلبثون * فقال له موسى عند خروجي من المدينة أبسط يدي إلى الرب فتنقطع الرعود ولا يكون البرد أيضا لكي تعرف أن للرب الأرض * وأما أنت وعبيدك فأنا أعلم أنكم لم تخشوا بعد من الرب الإله" (سفر الخروج، ٩ : ٢٧-٣١).

وبعد سياق آية (الجراد) ذكرت التوراة ما دار بين موسى وفرعون بالنص: "فرد موسى وهارون إلى فرعون . وقال لهما اذهبوا اعبدوا الرب إلهكم . ولكن من ومن هم الذين يذهبون * فقال موسى نذهب بفتياننا وشيوخنا . نذهب ببنينا وبناتنا بغنمنا وبقرنا.

لأن لنا عيدا للرب... اذهبوا أنتم الرجال واعبدوا الرب" (سفر الخروج، ١٠ :٨-١١). ثم بعد ذلك اعترف فرعون بالخطأ بعد أن أصابهم الجراد، حيث قال لموسى وهارون: "أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما * والآن اصفحا عن خطيتي هذه المرة فقط. وصليا إلى الرب إلهكما ليرفع عني هذا الموت فقط" (سفر الخروج، ١٠ :١٦، ١٧). وبعد أن انكشف عنهم الجراد بدعاء موسى قال فرعون : "اذهبوا واعبدوا الرب غير أن غنمكم وبقركم تبقى . أولادكم أيضا تذهب معكم * فقال موسى أنت تعطي أيضا في أيدينا ذبائح ومحرقات لنصنعها للرب إلهنا * فتذهب مواشينا أيضا معنا. لا يبقى ظلف لأننا منها نأخذ لعبادة الرب إلهنا ... لقال فرعون لموسى] : اذهب عني . احترز . لا ترى وجهي أيضا . إنك يوم ترى وجهي تموت * فقال موسى نعما قلت أنا لا أعود أرى وجهك أيضا" (سفر الخروج، ١٠ : ٢٤-٢٩).

ويعد أن أصيب فرعون وقومه بموت الأبكار ذكرت التوراة استسلام فرعون وإطلاقه لبني إسرائيل، حيث قال فرعون لموسى : "قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعا . واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم * خذوا غنمكم أيضا وبقركم كما تكلمتم واذهبوا . وباركوني أيضا" (سفر الخروج، ١٣ : ٣١-٣٢).

من هذه النصوص نرى التنازلات المتوالية من فرعون، فأول الأمر سمح لهم بعبادة الرب في الأرض دون الذهاب بعيدا، ثم بعد ذلك سمح للرجال فقط بالذهاب دون الأولاد والمواشي، ثم سمح لهم جميعا دون المواشي، ثم أخيرا وبعد أن تكررت الضربات - حسب سياق التوراة - سمح لهم ولمواشيهم بالخروج لعبادة الرب .

كما جاء في التوراة تحديد سن موسى وهارون عند تكليمهما لفرعون، كما يدل على ذلك النص: "وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حينما كلما فرعون" (سفر الخروج، ٧ : ٧).

وتدل أيضا على أن فرعون هو الذي طلب من موسى آية، كما في النص: "إذا كلمكما فرعون قائلا هاتيا عجيبة تقول لهارون خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا" (سفر الخروج، ٧ : ٩).

ثالثا : المقارنة

يتمثل الفرق بين القرآن والتوراة في حوار موسى لفرعون بالأمور الآتية :

١- جاء في القرآن الكريم بيان ربوبية الله سبحانه وتعالى للعالمين أجمعين، أما التوراة فقصرت ذلك على العبرانيين وآبائهم .

٢- حوار موسى لفرعون في التوراة مقصور على طلب إخراج بني إسرائيل من مصر، وليس فيها إشارة إلى دعوته إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله سبحانه : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ (النازعات، الآيات ١٥-١٩).

٣- لم يرد في القرآن الكريم نسبة شعب بني إسرائيل إلى الله بقول: (شعبي) أما التوراة فكانت تركز على هذا المعنى .

٤- جاء في القرآن الكريم بيان ما وصل إليه فرعون من الطغيان وذلك بادعائه للربوبية والألوهية، وليس للمصريين فحسب، بل زعم أنه إله لموسى، وهدده إذا لم يقبل ذلك بالسجن . أما التوراة فلم تدل على ذلك، وكان التركيز فيها على طغيان فرعون فيما يتعلق بالشعب الإسرائيلي .

٥- جاء في التوراة اعتراض موسى (عليه السلام) على ربه سبحانه وتعالى بالرسالة، ووصفه بأنه أساء إلى هذا الشعب، وأنه لم يخلصهم من فرعون . لذلك لم يستجب له فرعون وزاد في تسخير بني إسرائيل. وأما في القرآن الكريم، فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكّر بني إسرائيل بصنوف النعم التي أنعم بها عليهم، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة، الآية ٤٧).

٦- تضمن حوار موسى (عليه السلام) لفرعون في القرآن الكريم التعريف بالله سبحانه وتعالى، وبيان ماله من الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأما في التوراة فلم يظهر في الحوار شيء من ذلك.

٧- جاء في القرآن الكريم خذلان فرعون أمام موسى (عليه السلام)، وذلك بإيمان السحرة الذين استعان بهم فرعون على موسى (عليه السلام)؛ وأما التوراة فإنها تذكر للسحرة مواقف جيدة ومقابلة لما جاء به موسى، مما كان سببا في زيادة طغيان فرعون وعدم استجابته، كما سبق بيان ذلك في الحديث عن الآيات.

٨- لا يحتوي القرآن الكريم على معطيات خاصة بعمر موسى وهارون عندما تحدثا إلى فرعون، بينما تؤكد التوراة على عُمر موسى (عليه السلام) على أنه ابن ثمانين سنة، وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة.

نجاة موسى وقومه وهلاك فرعون وقومه

أولا : في القرآن الكريم

يصور القرآن نجاة موسى وهلاك فرعون بقوله سبحانه : ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ (الشعراء، الآيات ٥٧-٦٦). يتضح من هذا السياق أيضا ثقة موسى من نصر ربه له وتأييده وخذلان أعدائه وذلك حين خشي قومه إدراك فرعون لهم.

وفي موضع آخر يأتي تصوير حال فرعون عند الغرق بقوله سبحانه : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ (يونس، الآيات ٩٠-٩٢).

هكذا كان هلاك فرعون وجنوده، فإن موسى وقومه لما اكتملوا خارجين من البحر، واكتمل فرعون وقومه داخلين فيه، وهَمَّ أولهم بالخروج منه أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم فارتطم عليهم فلم ينجُ منهم أحد، وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم، وتراكمت الأمواج فوق فرعون، وغشيته سكرات الموت فقال وهو كذلك ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ فآمن حيث لا ينفعه الإيمان. ذلك أن الإيمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين. ورماه البحر على ناحية ليتحقق الناس موته ويكون لهم آية [٣، جـ٢، ص٤٣١؛ ٥، جـ١٨، ص٢٤١؛ ٢١، جـ١١، ص ص ٢٧٠، ٢٧١].

وقد جاء في السنة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل. فقال جبريل: يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حالِ البحر[١٢] فأدسه في فيه، مخافة أن تدركه الرحمة."[١٣][١٤]

ثانيا: في التوراة

تذكر التوراة أن موسى وقومه خرجوا من مصر، كما يدل على ذلك النص: "وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا * وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين" (سفر الخروج، ١٣: ٣٥، ٣٦). وكان هذا الأمر من موسى بناءً على أمر الرب له بذلك.

---

١٢ أي طينه الأسود.

١٣ أي خشية أن يقول: لا إله إلا الله. فتناله رحمة الله.

١٤ أخرجه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن [٢٢، جـ٥، ص٢٨٧]. والإمام أحمد في *المسند*، حديث رقم ٢٨٢١. والحديث صححه أحمد شاكر في تحقيقه *لمسند* الإمام أحمد [٢٣، جـ٤، ص٢٩٥] والألباني في *صحيح سنن الترمذي* [٢٤، جـ٣، ص٦١].

وتصف التوراة نجاة موسى وقومه وغرق فرعون وقومه بالنص: "ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء * فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم * وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومركباتهم وفرسانهم إلى وسط البحر * وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين * وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقلة . فقال المصريون نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم * فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم * فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه . فدفع الرب المصريين في وسط البحر * فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون[١٥] الذي دخل وراءهم البحر. لم يبق منهم ولا واحد" (سفر الخروج، ١٤ :٢٦-٢٩).

ثالثا : المقارنة

تتمثل المقارنة بين القرآن الكريم والتوراة في نجاة موسى وقومه وهلاك فرعون وقومه بالأمور الآتية :

١- جاء في التوراة ذكر استعداد الإسرائيليين للخروج من مصر بسلب المصريين حليهم وأمتعتهم وذلك بأمر موسى لهم بناءً على أمر الله له بذلك، كما نسبوا إلى الله قوله: "فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين * بل تطلب امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم . فتسلبون المصريين" (سفر الخروج، ٣: ٢١، ٢٢). وهذا النص يدل على خيانة الإسرائيليين

---

١٥ هناك خلاف بين المؤرخين حول شخصية فرعون الذي غرق في البحر، هل هو رمسيس، أو منفتاح، أو تحتمس الثالث. ورجح أحمد شلبي أنه منفتاح [٢٥، ص٦٢ ؛ ١٩، ص٧٣].

للمصريين ؛ لأن السلب في اللغة بمعنى الاختلاس . والله سبحانه وتعالى لا يأمر بالغدر والخيانة والاختلاس . وقد ورد في القرآن الكريم إشارة إلى ما كان مع المصريين من الحلي بقوله تعالى عن بني إسرائيل في جوابهم لموسى : ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا ﴾ (طه ، الآية ٨٧). قال الطبري : "اختلفت القراء في قراءة (حملنا)، فقرأ عامة قراء المدينة وبعض المكيين : (حُمِّلنا) بضم الحاء وتشديد الميم بمعنى أن موسى يحملهم ذلك. وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين : (حملنا) بتخفيف الحاء والميم وفتحهما. بمعنى أنهم حملوا ذلك من غير أن يكلفهم حمله أحد. قال أبو جعفر : والقول عندي في تأويل ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ؛ لأن القوم حملوا ، وأن موسى قد أمرهم بحمله ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب" [٤ ، جـ١٦ ، ص١٩٩]. وذهب بعض المفسرين إلى معنى آخر ، فقال القرطبي : "قيل : هو ما أخذوه من آل فرعون ، لما قذفهم البحر إلى الساحل. وسميت أوزارا بسبب أنها كانت آثاما. أي لم يحل لهم أخذها ولم تحل لهم الغنائم ، وأيضا فالأوزار هي الأثقال في اللغة" [٥ ، جـ١١ ، ص١٥٦]. وقال الشنقيطي في تفسير كلمة (أوزارا) : "قال بعض العلماء معناها الأثقال . وقال بعضهم : معناها الآثام . ووجه القول الأول أنها أحمال من حلي القبط الذي استعاروه منهم . ووجه الثاني أنها آثار وتبعات ؛ لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب ، وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي ، ولأن الغنائم لم تكن تحل لهم . والتعليل الأخير أقوى" [٧ ، جـ٤ ، ص٤٩٦]. الحاصل أنه لم يرد في القرآن الكريم أمر الله ولا أمر موسى لبني إسرائيل أن يسلبوا المصريين كما جاء في التوراة .

٢- تذكر التوراة أن الرب أشرف على عسكر المصريين بعمود نار فأزعج عسكرهم ، وخلع بكر مركباتهم ، حتى أدرك المصريون ذلك فأرادوا الهرب. ولم يرد في القرآن شيء من ذلك ، ولاشك أن الله سبحانه وتعالى نصر موسى وقومه ولكن ليس كما تذكر التوراة .

٣- جاء في القرآن الكريم الإشارة إلى إيمان فرعون عند الغرق ، ولكن هذا الإيمان لم ينفعه ، كما في قوله سبحانه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ

ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس، الآيتان ٩٠، ٩١) فلم يقبل الإيمان من فرعون لفوات وقته. وأما التوراة فلم تشر إلى شيء من ذلك.

٤- أوضح القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى نجى فرعون ببدنه ليكون لمن خلفه آية كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴾ (يونس، الآية ٩٢). وأما التوراة فلم تشر إلى شيء من ذلك.

الخاتمة

بعد استعراض دعوة موسى (عليه السلام) لفرعون في القرآن والتوراة، ابتداءً بكيفية تلقي موسى للوحي، ثم ما أيده الله به من الآيات، وكذلك حواره مع فرعون، وأخيرا نجاة موسى (عليه السلام) وقومه وهلاك فرعون وقومه، تبين مخالفة التوراة للقرآن الكريم بأمور، أهمها ما يلي:

١- جاء في التوراة حصر ألوهية الله سبحانه وتعالى للعبرانيين وآبائهم.

٢- جاء في التوراة تسمية الله سبحانه وتعالى بأسماء غير مفهومة ولا تحمل معنىً حسنا.

٣- جاء في التوراة نسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى.

٤- جاء في التوراة عدم تسليم موسى عليه السلام لربه في بعض ما يأمره به.

٥- جاء في التوراة ذكر قدرة سحرة فرعون على مقابلة موسى ببعض الآيات.

٦- جاء في التوراة وصف موسى بالألوهية لفرعون، ووصف هارون بالنبوة لموسى.

٧- جاء في التوراة تمييز بني إسرائيل بأنهم شعب الله.

٨- جاء في التوراة وصف الله سبحانه وتعالى بالإساءة إلى بني إسرائيل.

٩- جاء في التوراة أمر الله لبني إسرائيل بسلب المصريين.

١٠- تذكر التوراة أن الله نزل وحارب مع الإسرائيليين.

هذه المخالفات من التوراة للقرآن الكريم وغيرها تدل دلالة واضحة على ما في التوراة من التحريف والتبديل الذي أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم حيث يقول : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾ (النساء، الآية ٤٦). فنعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التثبيت والرضوان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المراجع

[١] الأعظمي، محمد ضياء الرحمن. *اليهودية والمسيحية*. المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٩هـ .

[٢] ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم. *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*. د.م.: مطابع المجد التجارية، د.ت.

[٣] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. *تفسير القرآن العظيم*. د.م.: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

[٤] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. *جامع البيان*. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ.

[٥] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.

[٦] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، د.ت.

[٧] الشنقيطي، محمد الأمين. *أضواء البيان*. الرياض: المطابع الأهلية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

[٨] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن. *زاد المسير*. المكتب الإسلامي .

[٩] الألوسي، شهاب الدين السيد محمد. *روح المعاني*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

[١٠] الشوكاني، محمد بن علي. *فتح القدير*. د.م.: دار الفكر، د.ت.

[١١] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. *البداية والنهاية*. بيروت: مكتبة المعارف، ١٤٠٢هـ.

[١٢] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. *قصص الأنبياء*. تحقيق عبد المجيد طعمه حلبي . بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٠هـ .

[١٣] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ.

[١٤] الرازي، الفخر محمد بن عمر. *التفسير الكبير*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

[١٥] كحالة، عمر رضا. *معجم قبائل العرب*. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

[١٦] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

[١٧] فتاح، عرفان عبد الحميد. *اليهودية عرض تاريخي*. عمَّان: دار عمار، ١٤١٧هـ.

[١٨] العقاد، عباس محمود. *الله* . ط٥. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

[١٩] شلبي، أحمد. *اليهودية*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٧م .

[٢٠] قطب، سيد. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق، ١٤٠٦هـ .

[٢١] ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. *عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي*. د.م.: دار الكتاب العربي، د.ت.

[٢٢] الترمذي، الحافظ محمد بن عيسى بن سورة. *السنن*. بيروت: دار إحياء التراث العرب، د.ت.

[٢٣] ابن حنبل، الإمام أحمد. *المسند*. تحقيق أحمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، ١٣٦٨هـ.

[٢٤] الألباني، محمد ناصر الدين. *صحيح سنن الترمذي*. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.

[٢٥] السيد صالح، سعد الدين. *العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية*. عين شمس: دار التابعين، ١٤١٦هـ .

Musa's Call to Pharaoh in the Holy Qur'an and the Distorted Torah: A Comparative Study

Sulaiman Bin Qasim Al-'ied

Assistant Professor, Department of Islamic Culture, College of Education, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. This research study aims to pinpoint one aspect of the distorted Torah through an in-depth study of the Prophet Musa's call to Pharaoh as stated in the Holy Qur'an, compared to its distorted version in the Torah. The study offers a comparison between what the Torah and what the Holy Qur'an say about this issue.

The Prophet Musa's call to the tyrant Pharaoh has been specified in both the Holy Qur'an and the Torah. Therefore, presumably, the versions of this story in the Torah and the Holy Qur'an should conform fully as they both come from one source. Thus, any distortions of or deviations from what is being stated in the Qur'an must be taken as categorical evidence of distortions in the Torah.

Having conducted a comparative analysis of the texts concerning this issue, starting with the revelations to Musa and how he received them, and proceeding through to the Qur'anic verses supporting his call to Pharaoh, to the story of his rescue and that of his people contrasting with Pharaoh's and his people's destruction, I have concluded that the Torah includes the following distortions: that the deity and divinity of God is the sole privilege of the Hebraic nation and its forefathers; that Musa (Moses) did not accept all divine commands from Allah; that Pharaoh's magicians were able to confront Musa with signs of their own powers; and that Musa was acknowledged by Pharaoh as God, and Harun (Aaron) as Musa's prophet.

Finally and above all, the Torah makes reference to the superiority of the Israelites as they are the chosen people of Allah. These stories constitute hard-core evidence of the distortions that have occurred in the Torah.